مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــــرام

التاريخ: ٦/١٠/١٩٨٠

ندوة أكاديمية

حرب أكتوبر هى بحق اشرف انجاز لنا فى التاريخ الحديث وقد خرجت كتب وابحاث كثيرة عن هذه الحرب التاريخية وما زال امامنا سنوات طويلة نسمع فيها الجديد فمعركة بريطانيا التى خاضها الانجليز فى اواخر الاربعينات مازالت محور حديثهم واعلامهم المدروس حتى يومنا هذا .والامم كالانسان الفرد تؤثر الاحداث الكبيرة فى شخصيته . وتصبح علامة بارزة فى تكوينه السيكولوجى ودافعا للاعتزاز بنفسه وانجازاته .

ومن احدث البحوث التى خرجت عن هذه الحرب دراسة جادة قام باعدادها اللواء عبد الستار أمين مدير اكاديمية ناصر العسكرية العليا ، وكشف فيها عن ابعاد قد لا يفطن اليها غير المتخصصين.

يقول اللواء عبد الستار امين :

ان حرب رمضان المجيدة هى نقطة التحول الرئيسية فى الصراع العربى الأسرائيلى الذى ظل مشتعلا زهاء ثلاثين عاما كان نصيب القوة العسكرية ان تخوض جولات اربع خسرنا ثلاثا منها لاسباب عديدة ليس المجال هنا لذكرها ولكن تلك الجولات الثلاث كانت عبرالزمن جولات مريرة ومؤلمة للنفس العسكرية الوطنية المصرية وكانت فى نفس الوقت نقطة تحول وتطور لفكرنا العسكرى الذى فرضت عليه خلال تلك المرحلة كثير من الظروف والافكار الاستعمارية سواء من الشرق أو الغرب عقب الجولة الاولى حاول الاستعمار الغربى أن يجرنا الى الاحلاف العسكرية بزعم ان ذلك يدعم ويشد من أزر العسكرية المصرية فرفضت مصر التبعية وواجهت التحديات ، وعقب جولتى ١٩٥٦/١٩٦٧ حاول السوفيت خلال ثمانية عشر عاما ان يستغلوا امدادنا بالسلاح والمعدات للرض سيطرتهم الايدلوجية علينا ولكننا ايضا رفضنا التبعية وانهينا وجود الخبراء والمستشارين السوفيت فى يوليه ١٩٧٢ محررين الارادة المصرية من كل محاولات الاحتواء والتدخل فى شئوننا الداخلية ولااذيع سرا اذا قلت ان **انهاء وجود الخبراء السوفيت كان من اهم أسباب نجاح حرب أكتوبر ١٩٧٣** ، التى تعتبر بحق اكبر حرب محلية شاملة ادبرت تحت ظروف الوفاق الدولى وضد رغبة القوتين العظميين .

وكان الصراع المسلح بالكامل تخطيط واعدادا وادارة على المستوى الاستراتيجى والتعبوى والتكتيكى مصريا مائة فى المائة واستخدم فى تلك الجولة اكبر حشد للاسلحة والمعدات المتطورة وتميزت بالاستخدام **الواسع للصواريخ** فى عمليات القوات البرية والجوية والبحرية واعمال قتال قوات الدفاع الجوى تحت ظروف استخدام **الحرب الالكترونية والالكترونية المضادة** مما جعلها موضع دراسة وتحليل فى كافة المجالات العسكرية العالمية سياسيا ودبلوماسيا واقتصاديا ومعنويا وعسكريا.

يقول البعض «ان التاريخ يعيد نفسه»

ويقول آخرون « أن التاريخ لا يكرر نفسه ابدا » . ومن وجهة نظرى ان كلا التعبيرين يحتاج الى برهان وتأكيد ولكن يمكن القول أن نفس الاسباب تؤدى وتقود الى نفس النتائج ، وفى كلمات أخرى اننا اذا لم نتعلم من التاريخ فاننا سنكون معرضين أن نرتكب نفس الاخطاء مرة أخرى . لذلك كان من الضرورى ان ندرس بتأن وعمق وواقعية حرب رمضان/ أكتوبر لنخرج بالدروس والنتائج لنطور بها مفاهيمنا العسكرية.

الموقف السياسى العسكرى قبل الصراع المسلح

كنتيجة للعدوان الاسرائيلى ١٩٦٧ أستمرت القوات المسلحة المصرية لمدة تزيد على ست سنوات تركز جهودها الرئيسية لاستعادة كفاءتها القتالية التى فقدتها نتيجة ذلك العدوان بهدف زيادة قدراتها القتالية لتحقيق الهدف الاسمى وهو تحرير الارض المحتلة . حدث ذلك فى ظل ظروف سياسية وعسكرية واقتصادية. ونفسية بالغة الصعوبة ، ففى ظل سياسة الوفاق الدولى بين العملاقين فرضت حالة الاسترخاء العسكرى وما تبعها من قيود على تسليح مصر من جانب الاتحاد السوفيتى، وتمادى المؤسسة العسكرية الاسرائيلية فى صلفها وغرورها لما تملكه من قوات متفوقة ولكننا كنا نؤمن انه بالاعداد على اسس علمية وتكنولوجية سليمة يمكن قلب موازين القوى وتحقيق النصر مهما طال الزمن . فمررنا بمرحلة الصمود ثم الدفاع النشط فالاستنزاف وأخيرا مرحلة التحرير التى تطورت حتى وصلت الى قرار الهجوم فى نوفمبر ١٩٧٢ . ولقد حاولت القيادة السياسية المصرية خلال تلك السنوات متعاونة مع المجتمع الدولى على حل القضية بالطرق السلمية ولكن تعنت اسرائيل أدى الى فشل كافة المساعى والجهود السلمية للحل الامر الذى فرض المعركة كوسيلة أخيرة لايجاد حل للقضية قائم على العدل .

— فقد قبلت مصر جميع قرارات الجمعية العامة للامم المتحدة ومجلس الامن الخاصة بموضوع القضية .

— قبلت مصر جميع المبادرات الدولية مثل :

(أ) مبادرة روجرز الاولى والثانية .

(ب) مبادرة السفير يارنج فى فبراير ١٩٧١ .

— تقدم السيد الرئيس محمد أنور السادات بمبادرة شخصية فى فبراير ١٩٧١ وأكدها فى مايو من نفس العام.

— فى مايو ١٩٧١ عقدت معاهدة صداقة وتعاون مع الاتحاد السوفيتى كوسيلة ضغط على الولايات المتحدة الامريكية .

— فى يوليه ١٩٧٢ انهت مصر وجود الخبراء والمستشارين العسكريين السوفيت فى مصر كوسيلة ضغط على الاتحاد السوفيتى .

لقد اتخذت القيادة السياسية كل هذه الخطوات كمحاولة لايجاد حل سلمى للمشكلة وبالرغم من أن الرأى العام العالمى كان يؤيدنا ومقتنعا تماما بحقنا الا انه لم تتخذ أى خطوات عملية فى اتجاه حل المشكلة .

لذلك كانت كل من القيادة السياسية والعسكرية المصرية مقتنعة تماما أن المعركة هى الوسيلة الوحيدة.

التخطيط للعملية الهجومية

فى نوفمبر ١٩٧٢ اتخـــذ القرار السياسى باستخدام القوة العســكرية وصـــدر هذا القرار التاريخى بعـد دراسات علمية مستفيضة وتحضيرات ضخمة تجعل الاجيال القادمة تفخر بكل ما حدث وعقب الاطمئنان تماما على الكفاءة القتالية للقوات المسلحة المصرية واستعدادها للعمليات بالمقارنة مع القوات الاسرائيلية أتخذ قرار باستخدام القوات المسلحة فى عملية استراتيجية على نطاق واسع كجزء من استراتيجية شاملة مباشرة تلعب القوات المسلحة الدور الرئيسى فيها خلال تلك المرحلة. بهـدف تغيير الموازين الســـياسية والعسكرية فى الشرق الاوسط من خلال هدم اسس نظرية الامن الاسرائيلية واحداث اكبر خسائر فى قوات اسرائيل

وكانت الخطوة التالية لاتخاذ قرار الصراع المسلح هو تحديد هدف سياسى عسكرى واصدار التوجيهات للقيـادة العسكرية لتبدأ مرحلة التحضير للعملية الهجومية الاستراتيجية المقبلة وكـان على الاستراتيجيين العرب أثناء تحديد الهدف السياسى العسكرى أن يضعوا عدة حقائق سياسية وعسكرية نصب أعينهم أهمها :

[أ] انه فى عصرنا الحاضر وفى ظل سياسة الوفاق الدولى توجد قيود على استخدام القوة بســبب العلاقات الدولية العالمية والمحلية.

[ب] أن هناك حدودا لقدرات القوة العسكرية وما يمكن أن تحققه.

[ج] تفوق اسرائيـل فى القوات الجوية والقوات المدرعة والميكانيكية .

[د] كانت الاسلحة المصرية يغلب عليها الطابع الدفاعى نظرا للقيود التى فرضها الاتحاد السوفيتى .

[هـ] عجز اسرائيل فى القـوة البشرية وحساسيتها ضد الخســـائر.

[و] أن يحتفظ بالجزء الاكبر من قواتنا المسلحة عسليا عقب تحقيـق الاهداف حتى يمكن استخدامها فى المهام المقبلة ولتجنب صعوبات اعادة بناء القوات المسلحة من جديد .

ولذلك جاء الهدف السياسى العسكرى عقب الدراســات والتقديرات المختلفة هدفا واقعيا ومناسبا لطاقات وامكانيات القوات المسلحة فى الظروف السياسية والعســكرية المحيطة بالموقف وطبيعة العدو الاسرائيلى وكان مجمل الهدف والتوجيه هو التخطيط لعملية هجومية استراتيجية تحقق هدم نظرية الامن الاسرائيلى وابطال مفعولها امام العالم مع تحطيم اســطورة جيش اسرائيل الذى لايقهر واحداث اكبر خسائر ممكنة فى جيش الدفاع الاسرائيلى باقتحام قناة الســـويس وتدمير خط بارليف ولتحقيق هذا الهدف بدأت القيادة العامة للقوات المسلحة التخطيط الاستراتيجى العسكرى العلمى السليم استنادا الى دراسات تفصيلية وبحوث علمية وفنية غطت مطالب التخطيط واعداد القوات المسلحة ومسرح العمليات ورفع القدرات القتالية وقد كان أبرز هذه الدراسات والبحوث هى :

[أ] جمـع معلومات دقيقة عن اسرائيل وقواتها المسلحة .

[ب] تحليل نظرية الامن الاسرائيلى مبرزين نقط القوة ونقط الضعف بها .

[ج] دراســة اعمال العدو المحتملة وردود فعله المتوقعة « السيناريو » .

[د] اهمية احراز المفاجأة والحصول على المبادأة .

[هـ] تحديد انسب أسلوب لاعداد القوات المسلحة للعمليات المقبلة .

هدم مبدأ الحدود الآمنة

لما كانت اسرائيل قد اطمأنت واكتفت مفاهيمها عن الحدود الامنة بالارتكاز على الحدود الطبيعية التى يسهل الدفاع عنها عقب عمليات ١٩٦٧ أى قناة السويس وخليج السويس على الجبهة المصرية لذلك كان لزاما على القيادة العامةلكى تهدم نظرية الامن الاسرائيلى أن تخطط لاقتحام قناة السويس وتدمير خط بارليف وتحصيناته وايجاد وجود عسكرى قوى ومستقر شرق القناةوخليج السويس مع احداث أكبر خسائر ممكنة وكذا قطع خطوط الملاحة البحرية الاسرائيلية عبر البحر الاحمر وخليج العقبة بقفل المدخل الجنوبى للبحرالاحمر عند باب المندب لاثبات عدم جدوى الاحتفاظ بشرم الشيخ .

ومن اجل احباط قدرة الردع الاسرائيلية وحرمان اسرائيل من ميزة التفوق الجوى اتخذنا الخطوات التالية:

— تنظيم دفاع جوىقوى عن القوات المسلحة وعمق الدولة بانشاء حائط الصواريخ المضادة للطائرات .

— تخطيط توجيه ضربة جوية شاملة ومفاجئة باكبر حشد جوى ٢٠٠ طائرة بالتنسيق مع القوات السورية لاضعاف العدو الجوى .

— المحافظة على غالبية القوات الجوية سليمة على قدر الامكان لتشكل مصدرتهديد مستمر لقوات العدوالجوية وذلك بانشاء العديد من القواعد الجوية والمطارات والممرات الجوية واقامة الدشم والتحصينات لوقاية الطائرات وتحديد المجهودالجوى المخصص لمعاونة القوات البرية لتتفرغ القوات الجوية لمهام العمق .

— مفاجأة اسرائيل قبل اتمام التعبئة حتى نواجه ٤ لواءات مدرعة بدلا من ١٢ لواء مدرعا عقب اتمام التعبئة .

— توفير وسائل مضادة للدبابات خفيفة مع القوات المقتحمة اساسها المدفعية واسلحة عديمة الارتداد والمام لمواجهة مدرعات العدو قبل عبور الاسلحة الثقيلة مع تخصيص اسلحة مضادة للدبابات للضرب من على المصاطب فى الضفة الغربية .

— العمل على تعطيل وارباك الهجمات المضادة باحتياطياته التكتيكية حتى تعبر الاسلحة الثقيلة. وتوجد فى رؤوس الكبارى الاتى :

[أ] استخدام اطقم اقتناص الدبابات ودفعها لعمق العدو لعمل كمائن على طرق اقتراب الاحتياطيات المحلية .

[ب] توجيه ضربات جوية وقصفات مدفعية لعرقلة تقدم المدرعات .

[جـ] حسن اختيارالساعةس بحيث يضطر العدو لتأجيل هجومه المضاد التكتيكى حتى أول ضوء لليوم الثانى للقتال .

— الهجوم على مواجهة واسعة لتشتيت احتياطات العدو المدرعة .

حرمان العدو من توجيه الضربة الاولى

لقد تم تقدير عامل المفاجأة بالتفصيل واعتبر من اهم مبادىء الاستراتيجية التى يجب استغلالها وصممنا على ضرورة احراز المفاجأة رغم كل الصعاب مثل :

[أ] مسرح عمليات صحراوى مكشوف .

[ب] كبر حجم القوات اللازمة للهجوم وخاصة معدات العبور .

[ج] الاتصال القريب بالعدو حيث الفاصل ٢٠٠ متر هو عرض القناة .

[د] التنسيق مع القوات السورية

[هـ] امتلاك اسرائيل لوسائل استطلاع متطورة وتعاونها مع أجهزة استطلاع ومخابرات دول كبرى .

ولقد تم تحقيق المفاجأة كاملة كنتيجة للاتى :

[أ] خطة خداع متقنة على كافة المستويات بما فيها مستوى الدولة حققت نوعا على مناصر التحدى المعادية .

ب — تم اعادة تجميع القوات المهاجمة خلال فترة زمنية طويلة .

ج — الاختيار السليم للشهر واليوم والساعة [س] .

د — سرية التخطيط على المستويات المخططة وفقا لخطة وتعليمات معددة تكفل الامن والسرية .

— وكان جوهر الخداع هو حرمان العدو من القدرة على الاستنتاج السليم لنوايانا رغم وجود الدلائل عليها [شاهد ولم يفهم ورأى ولم يصدق] .

فكرة العملية الهجومية الاستراتيجية:

بنيت فكرة العملية على اساس استغلال افضل القدرات والخصائص لدى قواتنا مع استغلال نقاط الضعف فى الفكرة الدفاعية للعدو فى اطار معركة أسلحة مشتركة تتضافر فيها جهود القوات البرية والجوية والبحرية والدفاع الجوى والصاعقة والابرار الجوى لتحقيق الهدف من العملية ولتنفذ على مرحلتين منفصلتين .

الاولى : لتحقيق المهمة المباشرة للقوات المسلحة وتتلخص احداثها الرئيسية فى :

— توجيه ضربة جوية مركزة بالقوات الجوية ضد مطارات العدو ووسائل دفاعه الجوى واسلحته بعيدة المدى مع تنفيذ تمهيد نيرانى بالمدفعية والصواريخ لمدة ٥٣ ق٠ ضد قلاع العدو الحصينة ووسائل نيرانه . وباستغلال نتائج الضربة الجوية والتمهيد النيرانى يقوم كل من الجيشين ٢ و ٣ بتوة ٥ فرق مشاة ، بالاشتراك مع وحدات الصاعقة وبالتعاون مع القوات الجوية والبحرية وقوات الدفاع الجوى باقتحام قناة السويس قبل آخر ضوء يوم ى٠ بمهمة تدمير العدو ودفاعاته شرق القناة والاستيلاء قبل آخر ضوء يوم ٦ على خمسة رؤوس كبارى فرق بعمق ٨ — ١٠ كم فى مناطق [الشط — جنوب البحيرات — جنوب وشمال الاسماعيلية — التفطرة] وبنهاية يوم ٣ يتم توسيع رؤوس كبارى الفرق وتوحيدها فى رؤوس كبارى جيش بعمق ١٠—١٢ كم للجيش الثالث الشط وجنوب البحيرات والجيش الثانى شمال وجنوب الاسماعيلية مع ابقاء رأس كوبرى التفطرة وتعزيزها كمهمة مباشرة للقوات المسلحة مع الاستعداد لصد وتدمير هجمات وضربات العدو المضادة والتمسك برؤوس الكبارى

— ولمعاونة أعمال قتال الجيوش الميدانية يتم ابرار قوات ابرار من كتائب صاعقة فى آخر ضوء يوم ٦ أكتوبر على المحاور الرئيسية لعرقلة تحرك احتياطيات العدو ومنعها من القيام بالهجمات المضادة حتى صباح اليوم التالى .

— يقوم الجيش الثالث بدفع لواء ميكانيكى عبر البحيرات المرة الكبرى

للعمل كممرتين فى اتجاه ممرات متلا والجدى ولمنع تقدم العدو عبرهما ويتم دفع لواء ميكانيكى من خلال رأس كوبرى الجيش الثالث جنوبا على الضفة الشرقية لخليج السويس ومعاونته بابرار حتى كتيبة مشاة للسيطرة على الساحل الشرقى بالتعاون مع منطقة البحر الاحمر العسكرية

اما المرحلة الثانية لتحقيق المهمة النهائية للقوات المسلحة فتتلخص افكارها الرئيسية فى :

— صد وتدمير ضربات العدو المضادة وتكبيده أكبر قدر من الخسائر

— تكون القوات مستعدة طبقا لتطورات الموقف وبتعليمات لتطوير الهجوم شرقا بدفع الانساق الثانية للجيوش الميدانية من خلال رؤوس الكبارى بالاشتراك مع وحدات المشاة والابرار الجوى وبالتعاون مع القوات الجوية والبحرية والدفاع الجوى .

بفضل الله سبحانه وتعالى وبتعاون كافة أفرع القوات المسلحة واسلحة وتشكيلات القوات البرية وبفضل الاعداد والتخطيط والتدريب المتقن وشجاعة الرجال وتضحيات شهدائنا وجرحانا تمكنت قواتنا البرية خلال الايام الثلاثة الاولى من مفاجأة العدو باقتحام قناة السويس والاستيلاء على غالبية قلاع وحصون خط بارليف وحولته الى مقبرة لقوات جيش الدفاع الاسرائيلى وأقامت على انقاضه رؤوس كبارى على أرض سيناء الحبيبة بعمق ١٠ — ١٢ كم وصدت أكثر من ٦٠ هجمة شنها العدو ودمرت أكثر من ٥٠٠ دبابة وفشل بدأ الجسر الجوى الامريكى [٢٢ ألف طن] والدعم الامريكى يشد من أزر اسرائيل ويدعمها ، ومن دواعى الفخر أن اذكر أنه بعد ربع ساعة من بدء الضربة الجوية والتمهيد النيرانى بدأت الموجات الاولى لخمس فرق مشاة وقوات قطاع بورسعيد فى اقتحام القناة وخلال دقائق كانت اقدام ٨٠٠٠ مقاتل تطأ ارض سيناء وحناجرهم تردد أقوى النداءات [الله اكبر .. الله اكبر] فزلزلت عدوهم

وفى اقل من ست ساعات أتمت فرق المشاة الخمس وقوات قطاع بورسعيد والصاعقة والمظلات اقتحام قناة السويس بقوة ٨٠ الف مقاتل واستولت على ١٥ قلعة وحصنا من قلاع بارليف وأحكمت الحصار على باقى القلاع والحصون تمهيدا لاقتحامها أو استسلامها وبنهاية اليوم الثالث تحققت المهمة المباشرة للقوات المسلحة كما كانت مخططة تماما وبخسائر أقل بكثير مما كان متوقعا ولم يتطلب الامر تدخلا يذكر من القيادة العامة فى مهام الجيوش لانها نفذت طبقا للتخطيط .

محمد عبد المنعم